ابحاث المؤتمر العلمي الدولي الخامس المشترك الثالث
"التعايش السلمي بين الاديان عبر التاريخ "
حزيران 2021 ملحق بالعدد السابع والعشرون المجلد الاول

التعايش السلمي منهج اسلامي

(عصر صدر الإسلام انموذجاً)

الأستاذ الدكتور

بديع محمد ابراهيم

((الملخص))

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه

لم يخل المجتمع الإسلامي في أي عصر او حقبة تاريخية من وجود غير المسلمين , فالإسلام لم يكره الناس على الدخول فيه , ولم يمنع تواجد غير المسلمين في ارض الإسلام ما داموا مسالمين معاهدين لا يضمرون عداوة او ضغينة او دسيسة للمسلمين , وتأمينهم على أنفسهم وأموالهم وأعراضهم واجب ما داموا مُحافظين على أحكام الدولة الإسلاميّة , فالإسلام يسعى لبناء المجتمع الإنساني الذي يحكمه الإسلام ، وفي شواهد التاريخ ما يكشف عن سماحة واحسان النبي ((ﷺ)) والصحابة الكرام في تعامُلِهم مع غير المُسلمين الذين عاشوا في كنف الدولة الإسلامية .

اننا ومن خلال هذا البحث الموسوم (التعايش السلمي منهج اسلامي-عصر صدر الإسلام انموذجًا) نريد تسليط الضوء على بعض من الشواهد التاريخية التي تكشف عن ماهية تعامل المسلمين مع من عاش في ظل الحكم الإسلامي , وكيف أن المسلمين قد حرصوا كل الحرص على تحقيق ذلك التعايش , حتى ان غير المسلمين انفسهم قد اشادوا بما كان يلقوه من رعاية في الدولة الإسلامية .

الكلمات المفتاحية :(التعايش – السلمي – صدرالإسلام)

((Summary))

Praise be to God, and may blessings and peace be upon the Messenger of God and his family, companions, and those who follow him.

The Islamic community in any era or historical era has not been free of the presence of non-Muslims, for Islam did not force people to enter it, and it did not prevent the presence of non-Muslims in the land of Islam as long as they were peaceful. As long as they preserve the rulings of the Islamic state, , Islam seeks to build a human society ruled by Islam, and in the evidence of history reveals the tolerance and benevolence of the Prophet Mohamed (peace be upon him) and the honorable Companions in their dealings with non-Muslims who lived within the confines of the Islamic state.

Through this research marked (Peaceful Coexistence, an Islamic Approach - the Era of the Origin of Islam as a Model) we want to shed light on some of the historical evidence that reveals the nature of Muslims' dealings with those who lived under Islamic rule, and how Muslims were keen to achieve that coexistence Even non-Muslims themselves praised the patronage they received in the Islamic state.

Key words: (Coexistence - Peaceful - Early Islam)

المقدمة

الحمد لله بجميع المحامد على جميع النعم ,والصلاة والسلام على خير خلقه محمد المبعوث الى خير الأمم ,وعلى آله وصحبه مفاتيح الحكم ومصابيح الظلم .

الحمد لله الذي رضي لنا الإسلام دينا، وأوضح السبيل إلى معرفته واعتقاده حقا يقينا، فهو دينه الذي ارتضاه لأنبيائه ورسله ، فلا يقبل من أحد دينا سواه من الأولين والآخرين (**كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَمَن زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلاَّ مَتَاعُ الْغُرُورِ**) [1], وقوله (وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلاَّ نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ أَنَا فَاعْبُدُونِ)[2] .

لم يخل المجتمع الإسلامي في أي عصر او حقبة تاريخية من وجود غير المسلمين , فالإسلام لم يكره الناس على الدخول فيه (وَمِنَ الأَعْرَابِ مَن يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَيَتَّخِذُ مَا يُنفِقُ قُرُبَاتٍ عِندَ اللَّهِ وَصَلَوَاتِ الرَّسُولِ أَلا إِنَّهَا قُرْبَةٌ لَّهُمْ سَيُدْخِلُهُمُ اللَّهُ فِي رَحْمَتِهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيم)[3], ولم يمنع تواجد غير المسلمين في ارض الإسلام ما داموا مسالمين معاهدين لا يضمرون عداوة او ضغينة او دسيسة للمسلمين , وتأمينهم على أنفسهم وأموالهم وأعراضهم واجب ما داموا مُحافظين على أحكام الدولة الإسلاميّة، وهؤلاء من اطلق عليهم اسم اهل الذمة, وقد أوجبت تعاليم الإسلام حماية المواطنين من غير المسلمين ومنْعَ مَن يقصدهم بأذى من المسلمين والكفار، فالإسلام يسعى لبناء المجتمع الإنساني الذي يحكمه الإسلام ، ومن يتتبع تاريخ وجودهم وعيشهم في بلاد المسلمين يجد صورة ناصعة لطبيعة التعايش السلمي التي اوجدها المسلمون في كيفية التعاطي والتعامل معهم وبالكيفية التي حفظت لهم حقوقهم ومكانتهم في المجتمع , وعلى الرغم من الإختلاف العقائدي مع غير المسلمين وعلى وجه الخصوص اليهود والنصارى فان الإسلام لم يمنع التعامل معهم بل والزواج من الكتابيات , وفي شواهد

(1) سورة آل عمران ,الآية 85.
(2) سورة الأنبياء: الآية 25
(3) سورة يونس ,الآية 99

التاريخ ما يكشف عن سماحة واحسان النبي (ﷺ) والصحابة الكرام في تعامُلِهم مع غير المُسلمين الذين عاشوا في كنف الدولة الإسلامية .

لقد سبق المسلمون غيرهم من الأمم في منهج التعايش السلمي بل وحرصوا على مراعاة الأحوال التي تحفظ هذا المنهج وتحفظ من كان معنياً به , على العكس من القوى المتصارعة مع المسلمين التي لم تألوا جهداً في الحاق شتى انواع الأذى والتنكيل بالمسلمين كلما سنحت لهم الفرصة لذلك , لا سيما في الأوقات التي استطاعوا فيها فرض السيطرة على بعض البلاد التي كان يسكنها المسلمون , اذ جعلوا القتل والانتقام واذلال المسلمين منهجاً لهم وطريقة تكشف عن الحقد الذي كانوا يضمرونه للإسلام والمسلمين .

اننا ومن خلال هذا البحث الموسوم **(التعايش السلمي منهج اسلامي-عصر صدر الإسلام انموذجًا)** نريد تسليط الضوء على بعض من الشواهد التاريخية التي تكشف عن ماهية تعامل المسلمين مع من عاش في ظل الحكم الإسلامي , وكيف أن المسلمين قد حرصوا كل الحرص على تحقيق ذلك التعايش , حتى ان غير المسلمين انفسهم قد اشادوا بما كان يلقوه من رعاية في الدولة الإسلامية , وقد تم تقسيم البحث على مقدمة ومبحثين , **تناولنا في المبحث الأول الشواهد التاريخية للتعايش السلمي في عصر النبوة , ومن تلك الشواهد :**

- **الهجرة الى الحبشة .**
- **تعامل النبي (ﷺ) مع يهود المدينة (ضمن بنود صحيفة المدينة) .**
- **تعامله مع أهل نجران وأذرح و أيلة .**
- **صلح الحديبية – تعايش سلمي وفتح للمسلمين – .**
- **التعامل الاقتصادي مع يهود خيبر.**
- **وصايا النبي (ﷺ) لجيوش المسلمين باهل الكتاب , ووصيته للمسلمين باهل مصر من الأقباط اذا فتحوها .**
- **زيارة النبي(ﷺ) لجاره اليهودي , وقيامه لجنازة آخر, ورهن درعه عند يهودي .**
- **مجالسته(ﷺ) لغلام نصراني .**

- اكل طعام الكتابيين والزواج منهم .

اما المبحث الثاني فقد خصصناه لعرض الشواهد التاريخية للتعايش السلمي في العصر الراشدي ومن ابرزابرزها :

- وصايا الخلفاء الراشدين لجيوش المسلمين بحسن معاملة اهل الذمة .
- اميرالمؤمنين عمربن الخطاب (ﷺ) وفتح بيت المقدس .
- رد المظالم لهم .(حادثة القبطي مع ابن عمروبن العاص –والي مصر) .
- مراعاة الفقراء والمحتاجين من اهل الذمة .

ثم وضعنا خاتمة لأبرز النتائج التي تمخض عنها البحث , ولا شك اننا لن نستطيع ان نسجل جميع تلك الشواهد لأن المجال لا يسع لذلك , بل اكتفينا ببعضها وبما يحقق جزءاً من مبتغى البحث ويكشف الصورة التاريخية لذلك التعايش الذي يعكس صورة أن التعايش السلمي منهج اسلامي اوجده هذا الدين كواقع في حياة الأمة وليس اقوالاً وأن الإسلام لا يقصي ولا يضطهد من عاش في كنفه بل انه سيجد تحت رايته مالم يجده من ابناء جلدته

((المبحث الأول))

<u>الشواهد التاريخية على التعايش السلمي في عصر النبوة :</u>

بعث الله - تعالى- نبيّه محمداً (ﷺ) ليكون رحمةً للناس كافة(وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ) [1], واجتمع فيه كمال الخُلُق (وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ)[2], ويؤكّد هذه الأخلاق تعامُله مع غير المُسلمين، وتأمينهم على أنفسهم وأموالهم وأعراضهم ما داموا مُحافظين على أحكام الدولة الإسلاميّة، فالإسلام يسعى لبناء المُجتمع الإنسانيّ الذي يحكمه الإسلام، ونجد الكثير من الأدلّة التي تحُثّ على التعامل بالرحمة مع غير المُسلم؛ ترغيباً له في الإسلام، ولتحقيق مبدأ التسامح والتعايش السلمي هو أساس العلاقة في التّعامل مع المسالمين من غير المسلمين، انطلاقاً من قول الله (لا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ

(1) سورة الأنبياء: الآية ١٠٧

(2) سورة القلم: الآية ٤

يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ) "[1] , أي أنّ معاملتهم قائمةٌ على البِرّ، والقِسط، والحوار بالحُسنى، كما أباح الإسلام الأكل من طعامهم والزواج من نسائهم ، إلى جانب وجوب حمايتهم من أيّ عُدوان أو ظلمٍ يقع عليهم وهم في عهدِ ذمّة مع المسلمين , ومن أعظم ما يُشار إليه في حسن المعاملة لهم والتعايش السلمي معهم ما ثبت بالصحيح أنّ النبيّ (ﷺ)توعّد من قتل مُعاهداً من أهل الذّمة ؛ ففي الحديث أنّ رسول الله (ﷺ) قال: "مَن قَتَلَ مُعاهَدًا لَمْ يَرِحْ رائِحَةَ الجَنَّةِ، وإنَّ رِيحَها تُوجَدُ مِن مَسِيرَةِ أرْبَعِينَ عامًا"[2] , فالإسلام يدعو إلى التعايش الإيجابي بين البشر جميعا، في جو من الإخاء و التسامح بين كل الناس، بصرف النظر عن أجناسهم و ألوانهم ومعتقداتهم , فالجميع ينحدرون من نفس واحدة،(يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُواْ رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيرًا وَنِسَاء وَاتَّقُواْ اللَّهَ الَّذِي تَسَاءلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا)[3] , كما أن التعارف وما يتصل به من علاقات هو سمة للخلق ,,(يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ)[4] اما بعد ذلك فإن التقوى وطاعة الله تعالى فتكون أساس التكريم للإنسان عند ربه , ويمكن ان نسجل هنا بعضًا من مظاهر التعايش السلمي بين المسلمين وغير المسلمين في عصر النبوة :

- الهجرة الى الحبشة :

لقد وجدت قريش ان الدعوة للدين الجديد التي ظهرت في مكة وصدح بها النبي(ﷺ) واخذ يتزايد اعداد الداخلين بها من اهل مكة انما تهدد مكانتهم وتسلبهم الإمتيازات التي كانوا يحضون بها في سيادتهم للأمور بها , ولهذا لجأت الى تعذيبهم وتجويعهم لاسيما الضعفاء من العبيد والموالي ممن لم يكن لهم من يدفع عنهم اذاها , ولم يكن بمقدور النبي (ﷺ) في ذلك الوقت ان يكف يد قريش عن اصحابه , ولهذا وجد ان أسلم طريقة للحفاظ عليهم هي خروجهم من مكة والذهاب الى مكان

(1) سورة الممتحنة: الآية ٨

(2) الإمام البخاري, محمد بن اسماعيل بن ابراهيم (ت256هـ/870م),صحيح البخاري ,تح طه عبدالرؤوف سعد, د.ط (مكتبة الإيمان –المنصورة-2003م) ,ص665,رقم الحديث 3166.

(3) سورة النساء, الآية 1

(4) سورة الحجرات , الآية 13

آمن لا يكون لسادة قريش سلطان عليه , وقد وجد النبي (ﷺ) أن الحبشة هي ذلك المكان الذي يأمن فيه على اصحابه , اذا قال لهم :" لو خرجتم الى ارض الحبشة ,فان بها ملكًا لا يظلم عنده أحد , وهي أرض صدق حتى يجعل الله لكم فرجًا مما أنتم فيه "[1], وقد كان اعتقاد النبي (ﷺ) بذلك قد جاء لعلمه أن تلك الأرض يسكنها أناس اتخذوا النصرانية دينًا لهم وأن فيها حاكمًا يسوسهم بالعدل , وهكذا كانت اول بذرة سعى اليها النبي (ﷺ) لأن يعيش المسلمون في سلم مع النصارى , وفي كنف حاكم من أتباع النبي عيسى ابن مريم (عليه السلام) ألا وهو النجاشي[2] , وهذا يعني أن الإسلام وفي اطار التعايش السلمي لم ولن يكون متقاطعًا مع اصحاب الشرائع السماوية الأخرى ما داموا غير محاربين للإسلام , ولا شك أن خروجهم هذا كان يحمل في جنباته اعلامًا للناس ومنها الحبشة عن ظهور هذا الدين والدعوة السلمية للدخول فيه .

عاش المهاجرون في الحبشة بأمان من سطوة قريش وبطشها , وادرك ملك الحبشة ما يعانيه اتباع هذا الدين الجديد في سبيل بلوغ المرام في اعلاء كلمة الله , وادرك ايضاً صدق النبوة التي ظهرت في جزيرة العرب , ولأنه كان نقي السريرة في نظرته لكل ما كان يجده في هؤلاء المهاجرين وما يأتيه من اخبار النبي(ﷺ) وصدق ما جاء به فلم يكن أمامه فيما بعد إلا أن يسلم , وقد اخبر النبي (ﷺ) عن ذلك عندما مات النجاشي بقوله: **"مات اليوم رجل صالح ,فقوموا فصلوا على أخيكم أصحمة "**[3] , وبذلك عاش المهاجرون بسلام مع نصارى الحبشة وأوصلوا لأهلها أمر ظهور الدعوة الجديدة وما تحمله من خير للبشرية جمعاء .

ـ تعامل النبي (ﷺ) مع يهود المدينة ضمن بنود صحيفة المدينة:

---

[1] ابن هشام ,ابو محمد عبد الملك(ت213هـ/828م), السيرة النبوية, تحقيق عمر عبدالسلام تدمري,ط3(دار الكتاب العربي- بيروت -1990)ج1/349 ؛ الطبري , محمد بن جرير(ت 310هـ/923م) , تاريخ الرسل والملوك , تح محمد ابو الفضل ابراهيم ط2(دار المعارف –مصر-1969) ج2/330- 331 .

[2] ينظر عنه : الراوي , مها أسعد عبد الحميد طه , النجاشي واثره في التاريخ , اطروحة دكتوراه غير منشورة مقدمة الى معهد التاريخ العربي والتراث العلمي للدراسات العليا, 2007 .

[3] البخاري, صحيح ,ص807, رقم الحديث 3877

كانت المدينة المنورة (يثرب) قبل هجرة رسول الله (ﷺ)اليها يسكنها العرب من الأوس والخزرج ومعهم اليهود , وحين دخل هؤلاء الأوس والخزرج في الإسلام اصبحوا هم الأنصار بعد الهجرة المباركة الى المدينة .

بعد أن هاجر النبي (ﷺ) الى المدينة واستقر بها ومعه المهاجرون من مكة , بدأ باتخاذ الإجراءات لتنظيم شؤونها , وبما أن اليهود من سكانها , وكانوا من أهل الكتاب فأن النبي (ﷺ) لم يتخذ ضدهم موقفًا معاديًا , ولم يتجه فكره إلى رسم سياسة الإبعاد أو المصادرة والخصام، بل سعى لأن يجعلهم جزءاً من مجتمع المدينة يتعايشون مع المسلمين بأمان وينالوا حقهم من الرعاية وحسن المعاملة , فكان من بين تلك الإجراءات ولتنظيم تلك العلاقة أن وضع النبي(ﷺ) وثيقة المدينة , وهي الدستور الذي يضمن حقوق جميع من يسكنها , وله حقوق كما عليه واجبات , وأبرز ما كان مما ورد في بنود تلك الوثيقة ما يتعلق بالعلاقة مع يهود المدينة وسبل التعايش السلمي بينهم وبين المسلمين فيها , وهذا ما يؤكد أن الإسلام يسعى لإيجاد مجتمعات تتعايش سلميًا وان اختلفت في عقائدها مادامت لا تحمل الكراهية ولا تحارب او تنتهك حرمات هذا الدين , ولعل قراءة سريعة لبعض بنود تلك الوثيقة[1] تكشف عن مدى الحرص لتحقيق ذلك التعايش السلمي لمجتمع المدينة بين المسلمين "المهاجرين والأنصار" واليهود ,اذ تضمنت الوثيقة المبادئ التي قامت عليها أول دولة في الإسلام، وفيها من الإنسانية والعدالة الاجتماعية والتسامح الديني والتعاون على مصلحة المجتمع ما لم تحققه ارقى المجتمعات الإنسانية على مر العصور وابرز تلك البنود :

- وأنه من تبعنا من يهود فإن له النصر والأسوة غير مظلومين ولا متناصر عليهم .
- وإن اليهود ينفقون مع المؤمنين ما داموا محاربين .
- وإن يهود بني عوف أمة مع المؤمنين, لليهود دينهم وللمسلمين دينهم ,ومواليهم وأنفسهم إلا من ظلم وأثم فانه لا يوتغ إلا نفسه وأهله .

(1) ينظر عنها: ابن هشام ,السيرة ,ج2/143-144 ؛ العمري, اكرم ضياء, السيرة النبوية الصحيحة, محاولة لتطبيق قواعد المحدثين في نقد روايات السيرة النبوية ,(مكتبة العلوم والحكم –المدينة المنورة-1992),ج1/282-285؛ المباركفوري ,صفي الدين ,الرحيق المختوم , ط21(دار الوفاء- د. مكان – 2010) , ص180 .

- وقد اعطى ليهود بني النجار ,ويهود بني الحارث , ويهود بني ساعدة ,ويهود بني جشم ,ويهود بني الأوس ,ويهود بني ثعلبة ,وجفنة ,وبني الشطيبة , واعطى لبطانه اليهود كأنفسهم .
- إن على اليهود نفقتهم وعلى المسلمين نفقتهم ,وإن بينهم النصر على من حارب أهل هذه الصحيفة ,وإن بينهم النصح والنصيحة والبر دون الإثم وإنه لم يأثم امرؤ بحليفه ,وإن النصر للمظلوم .
- إن يثرب حرام جوفها لأهل هذه الصحيفة .
- إن ما كان بين أهل هذه الصحيفة من حدث او اشتجار يخاف فساده فإن مرده الى الله عز وجل والى محمد رسول الله (ﷺ).
- إن بينهم النصر على من دَهَمَ يثرب .
- على كل أناس حصتهم من جانبهم الذي قِبَلَهُم .
- إن يهود الأوس مواليهم وأنفسهم على مثل ما لأهل هذه الصحيفة مع البر من أهل هذه الصحيفة.
- إنه لا يحول هذا الكتاب دون ظالم وآثم ,وإنه من خرج آمن, ومن قعد آمن بالمدينة ,إلا من ظلم وأثم , وإن الله جار لمن بر واتقى , ومحمد رسول الله (ﷺ).

إن ما اثبته النبي (ﷺ) من حقوق وواجبات لليهود في هذه الصحيفة إنما تكشف عن منهجه (ﷺ) في التعامل مع غير المسلمين , وانه لم يأت ليثأر أو يسلب حقوق الآخرين وإن كانوا على غير هذا الدين , فمن يرضى بالعيش في كنف المسلمين وفي دولتهم دون محاربة أو خيانة لهم فإنه سينعم بالأمن والسلام وسيحظى بكل ما له من حق .

إن بنود وثيقة المدينة وما يتعلق منها بالعلاقة بين المسلمين واليهود في المدينة , جعلت اليهود جزءًا لا يتجزأ من مجتمعها في السلم والحرب , وأن التعايش السلمي والنصح والتناصح هو الحاكم للعلاقة بين اهل هذه الصحيفة , وأن لليهود دينهم دون التعرض لهم بشيء فيه , وما الى

ذلك من نصوص في هذه الوثيقة يمكن القول انها اول وثيقة نظمت أصول التعايش السلمي ونظمت حقوق الجماعات في التعايش جنباً الى جنب .

إن مخادعة اليهود وخيانتهم للمواثيق والعهود وكما هو ديدنهم على مر العصور جعلتهم غير قادرين على المضي في تلك الحالة من التعايش مع المسلمين , إذ لم يتوقف حقدهم وحسدهم على الإسلام منذ ذلك الوقت , ولهذا فسرعان ما بانت مكايدهم وتآمرهم على النبي (ﷺ) وعلى المسلمين فخانوا تلك العهود ونقضوها علناً يوم غزوة الأحزاب "الخندق" , فما كان من النبي (ﷺ) إلا أن يعاقبهم بما يستحقون جراء خيانتهم ونقضهم العهد[1] .

ـ تعامله مع أهل نجران وأذرح و أيلة :

لم يرد ذكر للنصارى في وثيقة المدينة التي تطرقنا اليها سابقًا والسبب في ذلك أنه لم يكن في المدينة من يسكنها من النصارى , على أن ذلك لم يمنع من كان منهم يسكن في مناطق بعيدة عن المدينة ان يكون لهم نصيبهم من العيش بسلام وأمن وفق علاقاتهم وتعاهدهم مع النبي (ﷺ) بعد أن علموا ما نال يهود المدينة من امتيازات ضمنتها لهم وثيقة المدينة , وكان من اولئك نصارى نجران[2] , اذ لم يكن امام هؤلاء وبعد أن ادركوا صدق الرسالة التي جاء بها النبي(ﷺ) وما يتحقق فيها من تعايش سلمي وحفظ للحقوق الا أن يقدم وفد من نصارى نجران , ستون راكبًا وفيهم أشرافهم على رسول الله (ﷺ) في المدينة ويتحاوروا معه[3] .

كان وصول هذا الوفد الى المدينة ودخولهم على رسول الله (ﷺ) في مسجده بعد صلاة العصر ,وقد حانت صلاتهم فقاموا في مسجد رسول الله(ﷺ) يصلون , فقال رسول الله (ﷺ) :"دعوهم" فصلوا

(1)ابن هشام , السيرة ,ج183/3 وما بعدها .

(2) نجران, وهي من مخاليف اليمن من جهة مكة , وكان اهلها يدينون بالنصرانية قبل الإسلام .ياقوت الحموي, شهاب الدين ابي عبدالله ياقوت بن عبدالله (ت 626هـ/1225م)معجم البلدان,(دار صادر-بيروت -1977) ,ج266/5 .

(3) ابن هشام, السيرة النبوية ,ج215/2.

الى المشرق[1] , وهكذا كان اول ما بادر النبي(ﷺ) هؤلاء القوم انهم لم يردعهم عن صلاتهم , واحسن استقبالهم والإستماع اليهم .

لا شك أن النبي (ﷺ) عرض على وفد نجران الإسلام ولكنهم رفضوا , وعدم استجابتهم والقبول بهذا العرض لا تعني أن النبي (ﷺ) أوقف الحوار معهم وانه قد انتهت وسيلة التواصل مع هؤلاء القوم لا سيما أنهم جاؤوا مسالمين , ولهذا تم التوصل الى ان يبقى الطرفان تربطهم صلة التعايش السلمي وطلبوا أن ينالوا ما ناله اليهود في الوثيقة وبالكيفية التي تتناسب مع الوضع الذي هم فيه والبلاد التي يسكنوها , وقد طلبوا من النبي (ﷺ) أن يبعث معهم رجلاً امينًا من اصحابه فقال لهم رسول الله (ﷺ) : **"لأَبعَثَنَّ اليكم رجلاً أمينًا حقٌ أمين فأستَشرَفَ له الناس , فبعث ابا عبيدة بن الجراح"**[2] , وقيل انهم طلبوا منه ان يبعث معهم من اصحابه من يحكم بينهم في بعض ما اختلفوا فيه اذ قالوا له: **(ابعث معنا رجلاً من اصحابك ترضاه لنا يحكم بيننا في أشياء اختلفنا فيها من أموالنا)**[3] , ووافق النبي على ذلك وارسل معهم الصحابي الجليل ابا عبيدة عامر بن الجراح قاضياً لنصارى نجران[4] .

وقد كتب النبي (ﷺ) لأهل نجران عهداً جاء فيه :**"بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ , ولنجرانَ وحاشيتهم جوار الله وذمة محمدٍ النبي على انفُسِهم وملَّتهم وأرضِهم وأموالِهم وغائبِهم وشاهدهِم وعشيرتهم وتبعهم , وأن لا يُغيّروا مما كانوا عليه ولا يُغَيَّرُ حق من حقوقهم ولا ملتهم , ولا يُغَيَّرُ اسقفٍ من أسقفيته ولا راهبٍ من رهبانيته... ولا يُؤخذُ رجلٌ منهم بظُلمِ آخر , وعلى ما في هذه الصحيفةِ جوار الله وذمة محمد النبي رسول الله حتى يأتي الله بأمره ما نَصحوا وأصلَحوا فيما عليهم غيرَ منقلبين**

(1) ابن هشام, السيرة النبوية ,ج2/217.

(2) البخاري , صحيح , ص906 رقم الحديث 4381 ؛ ابن سعد, محمد بن سعد بن منيع(ت230هـ/845م) , كتاب الطبقات الكبير, تح: علي محمد عمر, ط1(مكتبة الخانجي-القاهرة-2001), ج3/381 .

(3) بركات, احمد , محمد واليهود نظرة جديدة, ترجمة محمود علي مراد,(مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب - 1996),ص91-92 .

(4) بركات , محمد واليهود , ص92.

بظُلم"[1]. وفي رواية "وصالح أَهْلَ نَجْرَانَ من النَّصارى على أَلْفَيْ حُلَّةٍ. النِّصْفُ في صَفَر، والبقية في رَجَبٍ يؤَدُّونها إِلَى الْمُسْلمينَ، وعَارِيَّةِ ثَلاثينَ دِرْعًا، وثَلاثينَ فَرَسًا، وثَلاثينَ بَعِيرًا، وثَلاثينَ من كُلِّ صِنْفٍ من أَصناف السِّلَاح، يَغْزُونَ بها، والمسلمونَ ضامنونَ لها حتى يَرُدُّوهَا عَلَيْهِمْ إِنْ كان بِالْيَمَنِ كَيْدٌ أَو غَدْرَةٌ، على أَلَّا تُهْدَمَ لَهُمْ بِيعَةٌ، ولا يُخْرَجَ لَهُمْ قَسٌّ، ولا يُفْتَنُوا عن دِينِهِمْ ما لم يُحْدِثُوا حَدَثًا أَوْ يَأْكُلُوا الرِّبَا"[2].

ولما رأى اهل أيلة[3] أن العرب أسلمت , قدم يوحنه بن رؤبة وكان ملك أيلة على النبي (ﷺ) , وقيل قدم معه أهل جرباء وأذرح , فأتوه فصالحهم فقطع عليهم الجزية , جزية معلومة , وكتب لهم كتابًا جاء فيه :" بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ,هذا أمنة من الله ومحمد النبي رسول الله ليوحنا بن رؤبة وأهل أيلة , لسفنهم وسائرهم في البر والبحر, لهم ذمة الله وذمة محمد رسول الله ... ومن أحدث حدثًا فإنه لا يحول ماله دون نفسه , و إنه طيب لمن أخذه من الناس , و إنه لا يحل أن يُمنَعوا ماءً يريدونه , ولا طريقًا من براو بحر"[4] , وقد " اهدى ملك أيلة للنبي(ﷺ) بغلة بيضاء, وكساه بُردًا "[5]

وهكذا حقق النبي (ﷺ) مبدأ التعايش السلمي مع نصارى نجرى وغيرهم ممن ارادوا أن يأمنوا على انفسهم وبلادهم وضمن لهم حقوقهم ما داموا على النصح ودون خديعة او ظلم للمسلمين .

(1) عيسى, عوض سعد محمود , سياسة الدولة الإسلامية تجاه غير المسلمين خلال عصري النبوة والخلافة الراشدة , مجلة كلية اللغة العربية – القاهرة – العدد 37 , ص2478-2479 .

(2) ابن قيم الجوزية , محمد بن ابي بكر بن أيوب(ت 751هـ/1350م), زاد المعاد في هدي خير العباد,, (مؤسسة الرسالة –بيروت-لبنان -1994) ج141/3 .

(3) أيلة : مدينة على ساحل بحر القلزم مما يلي الشام , وقيل هي آخر الحجاز وأول الشام . ياقوت الحموي , معجم البلدان ,ج292/1.

(4) الواقدي , محمد بن عمر(207هـ/822م) , كتاب المغازي , تحقيق مارسدن جونس, ط3(عالم الكتب -بيروت- 1984) , ج1031/3.

(5) البخاري , صحيح , ص664 الحديث 3161 .

اما ما يتعلق بالنصارى من اهل أذرح[1] , فقد كتب لهم رسول الله (ﷺ) عهداً جاء فيه: " **من محمد النبي(ﷺ) لأهل أذرح , إنهم آمنون بأمان الله وأمان محمد , وأن عليهم مائة دينار في كل رجب و افية طيبة , والله كفيل عليهم بالنصح والإحسان للمسلمين ومن لجأ اليهم من المسلمين من المخافة والتعزير إذا خشوا على المسلمين وهم آمنون حتى يحدث إليهم محمد قبل خروجه**"[2] , ولم يكن مبدأ التعايش السلمي مع النصارى في عهد النبي (ﷺ) متوقف عند هذا الحدث , بل سبقه موقف الحبشة وسيكون غيره من مواقف لاحقًا .

ـ صلح الحديبية – تعايش سلمي وفتح للمسلمين –

خرج النبي (ﷺ) في السنة السادسة للهجرة ومعه الف واربعمائة رجل من الصحابة[3] متوجها نحو مكة يريد العمرة وذلك بعد أن رد الله سبحانه وتعالى كيد قريش ومن تحالف معها من الأحزاب في السنة الخامسة للهجرة ليظهر حقيقة مشاعر المسلمين نحو البيت الحرام وتعظيمهم له [4], ولما سمعت قريش بخروجهم هذا جمعت جموعها لصدهم عن دخول مكة , واخرجت قوة مع خالد بن الوليد قبل اسلامه لمنعهم من الوصول الى مكة , فلما علم النبي (ﷺ) بذلك وكان قد وصل عسفان غيَّر اتجاه سيره حرصًا منه على عدم مقاتلة قريش لأنه لم يخرج للحرب وانما خرج لزيارة البيت الحرام وتعظيمه , وتوالت الأحداث حتى وصل الى الحديبية[5] , وعلى الرغم من وصول الخبر الى قريش ان النبي(ﷺ) لم يأت محارباً بل معتمراً فأنها ولتكبرها أبت ذلك وقالت **لسهيل بن عمرو حين ارسلته**

([1]) أذرح: بلد في اطراف الشام من اعمال الشراة ثم من نواحي البلقاء .ياقوت الحموي ,معجم البلدان , ج129/1.وتقع اليوم في شرقي الأردن .

([2]) الواقدي , كتاب المغازي, ج1032/3

([3]) البخاري , صحيح , ص867 رقم الحديث 4151 و 4154.

([4]) العمري , السيرة النبوية الصحيحة , ج434/2-435.

([5]) الحديبية: ذكر البخاري انها بئر. صحيح ,ص866 الحديث 4150؛ وقيل انها سميت بشجرة حدباء كانت في ذلك الموضع وبينها وبين مكة مرحلة واحدة وبينها وبين المدينة تسع مراحل. ياقوت الحموي, معجم البلدان , ج229/2.

للتفاوض والصلح مع النبي(ﷺ)" إئتِ محمدًا فَصالِحهُ ولا يكن في صُلحِهِ إلاّ أن يرجعَ عنا عامَهُ هذا , فوالله لا تحدّثُ العربُ عنا انّهُ دخلها علينا عُنوةً أبدًا "[1] .

لقد اراد النبي (ﷺ) من خروجه هذا اظهار تعظيمه للبيت الحرام ولهذا فأنه سعى الى أن لا يرد طلباً لقريش يكون فيه هذا التعظيم اذ قال: (ﷺ) **" والذي نفسي بيده لا يسألوني خطة يعظمون فيها حرمات الله إلا أعطيتهم إياها"**[2] , وقد سعى النبي (ﷺ) الى أن لا يدع وسيلة للحوار مع قريش وان يصل الى غرضه سلماً إلا أن يأخذ بها , ولهذا ارسل عثمان بن عفان (ﷺ) ليبلغها طلب النبي (ﷺ) وما جاء اليه هو واصحابه , فرفضت طلبه وسمحت لعثمان (ﷺ) بالطواف ان اراد فرفض أن يطوف قبل رسول الله (ﷺ) , وقد احتبسته قريش عندها فظن المسلمون انها قتلته[3] , فكان على أثرها بيعة الرضوان في الحديبية , اذ بايع المسلمون النبي (ﷺ) على الموت [4] , ثم عاد بعدها عثمان (ﷺ) الى المسلمين , وقد اخذت قريش ترسل رسلاً الى رسول الله (ﷺ) للتفاوض وهي تدرك أنه لا طاقة لها بمحاربته , والنبي (ﷺ) يدرك أنه لو أراد دخول مكة بالقوة لما استطاعت قريش أن تقف امامه , ولكنه (ﷺ) لا يريد انتهاك حرمة مكة , ولا يريد سفك دماء من قريش لعلها تستجيب لدعوته وتدخل فيما دخل فيه الناس ,وهي دعوة لتعايش سلمي لمدة من الزمن , اذ قال: (ﷺ) **" إن قريشاً قد انهكتهم الحرب وأضرت بهم , فإن شاؤوا ماددتهم مدة ويخلوا بيني وبين الناس , فإن أظهر فإن شاؤوا أن يدخلوا فيما دخل فيه الناس فعلوا وإلا فقد جَمُّوا , وإن هم أبوا فوالذي نفسي بيده لأقاتلنهم على أمري هذا حتى تنفرد سالفتي ولَيُنفِذَنَّ الله امره"**[5] , وقد نقل رسل قريش لها صورة ما رأوه من حال المسلمين مع رسول الله(ﷺ), وأنهم ما رؤوا احداً يعظمه أصحابه ما يعظم أصحاب محمد (ﷺ) محمدًا :, وبما يفهم منه أن لا طاقة لقريش بصدهم عما ارادوا , عندها ارسلت قريش سهيل بن عمروا ليعقد

([1]) ابن هشام , السيرة , ج3/ 263. ابن كثير, عماد الدين ابي الفداء اسماعيل بن عمر(ت774هـ/1373م) البداية والنهاية 'تحقيق عبدالله عبدالمحسن التركي, ط1(دار هجر –مصر-1997) ج216/6 .

([2]) البخاري , صحيح , ص571 الحديث 2731-2732 .

([3]) ابن كثير , البداية والنهاية ,ج215/6 ؛ العمري , السيرة النبوية الصحيحة, ج440/2 .

([4]) البخاري , صحيح ,ص869 الحديث 4169 .

([5]) البخاري , صحيح ,ص571 الحديث 2731-2732 .

اتفاقا مع النبي (ﷺ) , ولما رأى النبي(ﷺ) سهيلاً قال:" **لقد سَهُلَ لكم من امركم**" [1] , **و أنه قال :" قد اراد القوم الصلح حين بعثوا هذا الرجل**" [2] , وطلب سهيل أن يكتب كتابًا بين النبي(ﷺ) وبين قريش , وتم عقد هذا الكتاب ولم يكن النبي (ﷺ) يمتنع عن الإستجابة لما يطلبه سهيل في تثبيته في الكتاب مما لا يغير من الحقيقة شيء على الرغم من انكار قريش لها كقول "بِسْمِكَ اللَّهُمَّ " اذ استبدلها سهيل بقول "بسمك اللهم" وقول "محمد رسول الله" اذ قال :" **والله لو كنا نعلم انك رسول الله ما صددناك عن البيت ولا قاتلناك , ولكن أكتب محمد بن عبدالله**" , وقبول النبي (ﷺ) لهذا الأمر انما اراد به أن لا يدع لقريش حجة ولا يدع امرا يكون فيه تعظيم حرمة البيت الحرام ومكة إلا اعطاها لقريش , وقد تضمن الكتاب امور عدة اوجزها المباركفوري[3] منها :

1- أن يرجع المسلمون ذلك العام بغير عمرة، ويقضون عمرتهم من العام المقبل، اذ قال رسول الله (ﷺ) "تخلوا بيننا وبين البيت فنطوف فيه ,فقال سهيل: والله لا تتحدث العرب أنا أخذنا ضغطة، ولكن ذلك من العام المقبل"[4].

2- أن توضع الحرب بينهم عشر سنين، يأمن فيها الناس ويكف بعضهم عن بعض.

3- أن من أراد من قبائل العرب أن يدخل في عقد محمد وعهده دخل فيه، ومن أحب أن يدخل في عقد قريش وعهدهم دخل فيه).

4- أن من جاء من قريش إلى النبي (ﷺ) بغير إذن وليه يرده عليهم، ومن جاء قريشًا من المسلمين لا ترده، روى الإمام البخاري رحمه الله: " قال سهيل: على أنه لا يأتيك منا رجل، وإن كان على دينك إلا رددته إلينا وخليت بيننا وبينه ", وقد اغتم المسلمون لهذا الشرط المجحف وكرهوه، فطمأنهم رسول الله (ﷺ)، اذ ورد عند الإمام مسلم: أنهم "اشترطوا على النبي (ﷺ) أن من جاء منكم لم نرده

(1) البخاري , صحيح ,ص572 الحديث 2731-2732 .

(2) ابن هشام , السيرة , ج263/3.

(3) الرحيق المختوم , ص298 .

(4) البخاري , صحيح , ص572 الحديث 2731-2732 .

عليكم، ومن جاءكم منا رددتموه علينا، فقالوا: يا رسول الله أنكتب هذا؟ قال: ((نعم إنه من ذهب منا إليهم فأبعده الله، ومن جاءنا منهم سيجعل الله له فرجًا و مخرجًا"[1].

5- وأن بيننا عيبة مكفوفة ، وأنه لا إسلال ولا إغلال[2] .

لقد ظن المسلمون ان شروط الصلح لم تكن في صالحهم وكانوا يتحدثون مع النبي(ﷺ) عن ذلك فأجابهم بقوله: **" إني رسول الله ولست أعصيه وهو ناصري"**[3]

ونحن في هذا الموضع لسنا بصدد دراسة بنود الصلح وتفصيل الحديث عنها , بل نريد أن نتبين ما ورد فيها من دلالات على انها حققت تعايشاً سلمياً بين المسلمين وبين قريش كلاً في دياره , ولا شك ان نتائجها كانت في صالح المسلمين بكل المقاييس , وكيف لا وقد ورد عن أنس بن مالك في قوله (إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا) ً[4] انها الحديبية[5] , وقد ورد عن النبي((ﷺ)) حين نزلت هذه الآية انه قال : **" لقد أُنزلت عليَّ الليلة سورة لهيَ أحَبُّ الي مما طلعت عليه الشمس"**[6] , اذ أن ما ورد في كتاب الصلح في أن يكون السلم دون الحرب ولمدة عشر سنوات ويأمن الناس ويكف كل طرف عن الآخر دون غدر او غل ويكون الوفاء بالصلح , فضلا عن اعطاء الحرية بالتحالفات مع القبائل الأخرى ,فإن كل ذلك قد أتى لصالح المسلمين الذين كانوا أحوج ما يكونون لهذه السنوات العشر من السلم للدعوة ونشر الإسلام بين القبائل الأخرى .

لقد كان حرص النبي (ﷺ) في تحقيق الصلح مع قريش على الرغم من تفوقه العسكري عليها حينها وادراك قريش ان لا طاقة لها بمواجهته لو اراد دخول مكة عليها , انما كان حرصاً على تحقيق تعايش جاءت ثماره متتالية , اذ تحقق التعايش السياسي والأمني بوقف الحرب ويأمن المسلمون جانب قريش لمدة عشر سنوات , مما فسح المجال للتحرك نحو دعوة القبائل للإسلام فدخل فيه اكثر مما

(1) ابن قيم الجوزية , زاد المعاد في هدي خير العباد , ج266/3.
(2) ابن قيم الجوزية , زاد المعاد في هدي خير العباد , ج266/3 ؛ ابن كثير , البداية والنهاية , ج217/6 .
(3) البخاري , صحيح , ص573 الحديث 2731-2732 .
(4) سورة الفتح , الأية 1 .
(5) البخاري , صحيح , ص869 الحديث 4172.
(6) البخاري , صحيح , ص870 الحديث 4177.

دخل قبل الصلح , وتحقق الهدف الديني, اذ سيكون بمقدور المسلمين الذهاب العام المقبل للعمرة وامام انظار قريش دون ان يعترضهم احد وهذا ما سيحقق رؤية قريش لما وصل اليه النبي (ﷺ) من نشر لدعوته وقوة المسلمين , وتحقق التعايش الإقتصادي اذ لم تعد هناك خشية من اعتراض طرف لتجارة طرف آخر[1] . ولقد كان فتح الحديبية مقدمة لفتح مكة , اذ لم تستطع قريش الحفاظ على العهد فغدرت ونقضت الصلح مما كان من نتائجه فتح مكة سنة 8هـ.

ـ التعامل الإقتصادي مع يهود خيبر:

تعد غزوة خيبر في السنة السابعة من الهجرة , واحدة من اهم الغزوات في العهد النبوي، إذ عمد رسول الله (ﷺ) إلى فتح هذه المدينة المحصنة التي يقطنها اليهود ، والذين ازدادت اعدادهم بعد اجلاء النبي(ﷺ) يهود بني النضير عن المدينة فسكنوا خيبر, اذ لم تنته احقادهم , وكانت خيبر قبل ذلك مركزاً للتآمر والدس والحقد على المسلمين وتأليب العرب على المسلمين وتحزيب الأحزاب في غزوة الخندق، ثم حثهم بني قريظة على الغدر بالمسلمين ونقض العهود التي كانت بينهم وبين النبي (ﷺ)[2].

بعد عودة النبي (ﷺ) من الحديبية، ومهادنته لقريش وعدم مساندتها لليهود ، عقد العزم على التوجه لليهود في خيبر ودك حصونها وإنهاء تآمرهم وذلك في السنة السابعة من الهجرة ، ولم يسمح النبي (ﷺ) للمنافقين وضعفاء الإيمان الذين تخلفوا في الحديبية بالخروج معه، فلم يخرج معه إلا أصحاب الشجرة، تصديقًا لقوله تعالى:(سَيَقُولُ الْمُخَلَّفُونَ إِذَا انطَلَقْتُمْ إِلَى مَغَانِمَ لِتَأْخُذُوهَا ذَرُونَا نَتَّبِعْكُمْ يُرِيدُونَ أَن يُبَدِّلُوا كَلامَ اللَّهِ قُل لَّن تَتَّبِعُونَا كَذَلِكُمْ قَالَ اللَّهُ مِن قَبْلُ فَسَيَقُولُونَ بَلْ تَحْسُدُونَنَا بَلْ كَانُوا لا يَفْقَهُونَ إِلاَّ قَلِيلا)[3] وقال الإمام القرطبي رحمه الله في تفسير هذه الآية: "يعني مغانم خيبر لأن الله عز وجل وعد أهل الحديبية فتح خيبر وأنها لهم خاصة، من غاب منهم ومن حضر"[4].

([1]) عيسى, سياسة الدولة الإسلامية تجاه غير المسلمين , ص2478-2479 .

([2]) ابو شهبة, محمد بن محمد بن سويلم, السيرة النبوية في ضوء القرآن والسنة, , ط8(دار القلم –دمشق-1427هـ), ج414/2.

([3]) سورة الفتح , الآية 15 .

([4]))) أبوعبدالله محمد بن أحمد بن ابي بكر(ت671هـ/1273م), الجامع لأحكام القرآن: تحقيق عبدالله عبد المحسن التركي ومحمد رضوان عرقسوسي ، ط1 (مؤسسة الرسالة- بيروت –لبنان - 2006م)، ج19/ 309 .

وقدم المسلمون خيبر، وكان وصولهم اليها ليلًا، "وكان النبي(ﷺ) إذا أتى قومًا بليل، لم يغر بهم حتى يصبح ، فلما أصبح خرجت اليهود فلما رأوه قالوا: محمد والله، محمد والخميس , فقال النبي (ﷺ): "خرِبَت خيبر، إنا إذا نزلنا بساحة قومٍ فساء صباح المنذَرين"[1].

وقد اصاب اليهود الذهول حين رأوا جيش المسلمين امام حصونهم ، وفرض النبي (ﷺ) الحصار عليهم , وشن المسلمون هجماتهم على الحصن فلم يتمكنوا منه , فقال رسول الله (ﷺ): "لأعطين هذه الراية غدًا رجلًا يفتح الله على يديه، يحِبُّ اللهَ ورسولَهُ ويحِبُّهُ اللهُ ورسولُه"[2] , ولا شك أن كل واحد من الصحابة كان يمني نفسه أن يكون صاحب ذلك الشرف " فلما أصبح الناس غدوا على رسول الله (ﷺ)كلهم يرجو أن يعطاها، فقال: "أين علي بن أبي طالب؟" فقيل: هو يا رسول الله يشتكي عينيه. قال: "فأرسلوا إليه". فأُتي به فبصق رسول الله (ﷺ) في عينيه ودعا له فبرأ كأن لم يكن به وجع فأعطاه الراية ، فقال علي : يا رسول الله أقاتلهم حتى يكونوا مثلنا , فقال: "انفذ على رسلك حتى تنزل بساحتهم، ثم ادعهم إلى الإسلام، واخبرهم بما يجب عليهم من حق الله فيه، فوالله لأن يهدي الله بك رجلًا واحدًا خير لك من أن يكون لك حُمْر النعم"[3].

ووصية النبي (ﷺ) لسيدنا علي (رضي الله عنه) بدعوة اليهود للإسلام قبل قتاله لهم تظهر حرصه (ﷺ) ورغبته في أن يستجيب هؤلاء لهذا الأمر على الرغم من كل ما فعلوه اتجاهه واتجاه المسلمين , ولكنهم رفضوا ذلك , فهاجم المسلمون المدينة , وفتح الله تعالى على رسوله (ﷺ) حصون خيبر واحدًا تلو الآخر، وقد قتل المقاتلة وسبى الذرية[4] ، فلما أستولى اليأس على اليهود سألوا رسول الله (ﷺ) أن يحقن دماءهم وأن يسيّرهم ففعل[5] , ثم سألوه أن يبقيهم على زراعة أرض خيبر مقابل نصف ما يخرج من

([1]) البخاري , صحيح , ص874 الحديث 4197 ؛ ابو شهبة, السيرة النبوية في ضوء القرآن والسنة, ج415/2.

([2]) البخاري , صحيح , ص876 الحديث 4210 . الطبري , تاريخ ,ج12/2.

([3]) البخاري , صحيح, ص876 الحديث 4210 ؛ ابو شهبة, السيرة النبوية في ضوء القرآن والسنة, ج416/2.

([4]) البخاري , صحيح , ص874 الحديث 4200 .

([5]) ابو داود , سليمان بن الأشعث الأزدي السجستاني (ت275هـ/888 م) سنن ابي داود , تحقيق شعيب الأرنؤوط و محمد كامل قره بللي , (دار الرسالة العالمية-2009) , ص 628 الحديث 3016 ؛ ابو شهبة, السيرة النبوية في ضوء القرآن والسنة, ج417/2.

ثمارها فأعطاهم ذلك وفي رواية الإمام البخاري " اعطى النبي (ﷺ) خيبر اليهود أن يعملوها ويزرعوها ولهم شطر ما يخرج منها "[1] ، وفي مسند الإمام احمد " أن رسول الله(ﷺ) دفع خيبر: أرضها ونخلها مقاسمة على النصف"[2] على أن يخرجهم متى شاء، وقد استعمل النبي(ﷺ) عليهم رجلاً من اصحابه , اذ اورد البخاري " أن النبي (ﷺ) بعث أخا بني عَدي من الأنصار الى خيبر فأمَّرَهُ عليهم "[3] .

وبلغ من إحسانه وتسامحه (ﷺ) بعد فتح خيبر وأخذ صُحُف التوراة منهم، أنْ أعادها وأرجعها إليهم لما طلبها اليهود، ولم يفعل كما فعل اليهود والصليبيون مع المسلمين في القدس او الأندلس بعد ذلك [4].

ان موافقة النبي (ﷺ) على ابقاء يهود خيبر فيها وقيامهم على زراعة ارضها بالمقاسمة على النصف بعد كل ما بدر منهم من معاداة للنبي(ﷺ) والمسلمين انما يكشف عن منهج التسامح الذي اتخذه النبي (ﷺ) مع اعداءه وصفحه عنهم اذا اثابوا الى رشدهم وكفوا عن الدسيسة والخيانة والتآمر على المسلمين , وهو منهج للتعايش السلمي الذي تأتي نتائجه ايجابية لكلا الطرفين , فالنبي(ﷺ) والمسلمين لم يقاتلوا اليهود ولم يكفوا عن التعامل معهم في الجانب الاقتصادي بسبب معتقدهم بل على ما كان يبدر من سوء اعمالهم , ولأجل ذلك حين جنحوا الى السلم والرضوخ الى حكم النبي (ﷺ) وعرضوا عليه ما فيه منفعة للجميع استجاب (ﷺ) , وجعل ذلك مقيداً بأنهم عرضة لإخراجهم من خيبر متى شاء حتى لا يطمعوا مرة اخرى بالتآمر على المسلمين , ولكن ديدن هؤلاء دوماهو الغدر والخيانة ولذلك فإن سوء صنيعهم فيما بعد سيجعل امير المؤمنين عمر بن الخطاب (ﷺ) يجليهم عن خيبر [5].

(1) صحيح , ص881 الحديث 4248 .
(2) ص 118 الحديث 2255 .
(3) صحيح , ص 881 الحديث 4246 .
(4) ؛ ابو شهبة, السيرة النبوية في ضوء القرآن والسنة, ج419/2.
(5) البخاري , صحيح , ص 570 الحديث 2730 وص662 الحديث 3152 .

لقد كان سرور النبي (ﷺ) والمسلمون بنصر الله تعالى في خيبر عظيمًا وقد وافق هذا النصر عودة سيدنا جعفر بن ابي طالب (ﷺ) ومن كان معه من المهاجرين الى الحبشة , وعبر النبي(ﷺ) عن فرحه بذلك بقوله : " ما أدري أنا بفتح خيبر افرح أم بقدوم جعفر "[1]

ـ يهود فَدَك وتيماء ورغبة التعايش السلمي :

لما علم يهود فدك ما حدث لإخوانهم اليهود في خيبر ممن بقي منهم ، طمعوا ان ينالوا ما نالهم , لأنهم ادركوا أن لا جدوى من استمرار عنادهم وتعنتهم وتآمرهم على الإسلام فنزلوا على مثل ما كان لأهل خيبر ، فكانت فدك " لرسول الله (ﷺ) خالصةً , لأنه لم يوجف عليها بخيل ولا ركاب"[2], وفي حديث ذكره ابو داود (رحمه الله)[3] أن النبي (ﷺ) قبل هدية اهداها اليه عظيم فدك . ولما بلغ يهود تيماء ما وَطَأَ عليه رسول الله(ﷺ) اهل خيبر وفدك , صالحوا رسول الله (ﷺ) وأقاموا باموالهم , فلما كانت خلافة امير امؤمنين عمر بن الخطاب (ﷺ) اخرج يهود خيبر وفدك , ولم يخرج اهل تيماء[4].

ـ وصايا النبي (ﷺ) لجيوش المسلمين باهل الكتاب , ووصيته للمسلمين باهل مصر من الأقباط اذا فتحوها .

(لا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ)[5] , وقد أوصى رسول الله (ﷺ) بالمُعاهدين، ففي الحديث الذي أخرجه البخاري ورواه عبد الله بن عمرو أنّ رسول الله قال: "مَن قَتَلَ مُعاهَدًا لَمْ يَرِحْ رائِحَةَ الجَنَّةِ، وإنَّ رِيحَها تُوجَدُ مِن

(1) الهيثمي, ابو الحسن علي بن ابي بكر بن سليمان(ت 807هـ/1405م) , مجمع الزوائد ومنبع الفوائد,ط1(دار المنهاج – جدة -2015)ج45/13 .

(2) ابو داود ,سنن , ص628-629 الحديث 3016 ؛ الطبري , تاريخ , ج15/3 .

(3) سنن ابي داود , ص660 الحديث 3055 .

(4) ابن القيم الجوزية , زاد المعاد في هدي خير العباد, ج314/3 .

(5) سورة الممتحنة , الآية 8 .

مَسِيرَةِ أرْبَعِينَ عامًا "(1)" , وقال (ﷺ) "ألَا مَن ظلَم مُعاهَدًا أو انتقَصَهُ أو كلَّفهُ فوق طاقتِهِ أو أخَذ منه شيئًا بغَيرِ طِيبِ نَفْسٍ، فأنا حَجيجُهُ يومَ القِيامةِ"[2]

لقد تم فتح مصر سنة 20هـ/641م , على يد القائد والصحابي الجليل عمرو بن العاص (ﷺ) , وقد كانت غالبية اهل مصر هم الأقباط , وقد راعى المسلمون التعامل مع الأقباط لأنهم اصبحوا اهل ذمة وقد كانت حمايتهم ومنحهم حقوقهم التي اوجبها الإسلام مع هؤلاء واجبة عليهم ما داموا قد دخلوا بعهد سلم مع المسلمين , على أن هناك أمراً مهماً اضاف على المسلمين حسن معاملة اهل مصر من الأقباط ألا وهو وصية النبي(ﷺ) بهم , اذ كان قد اخبر صحابته عن فتحهم لمصر ودخولها , وذكَّرهم بالإحسان الى اهلها , ففي الحديث عن أم سلمة أم المؤمنين " **أن رسول الله (ﷺ)أوصى عند وفاته فقال الله في قبط مصر فإنكم ستظهرون عليهم ويكونون لكم عُدَّةً وأعوانًا في سبيل الله** "[3] وقال (ﷺ) " **انكم ستفتحون أرضاً يذكر فيه القيراط فاستوصوا باهلها خيرًا فإن لهم ذمة ورحما** "[4].

لقد بيَّن النبي (ﷺ) لأصحابه منهج التعامل مع اهل مصر وهو منهج التعايش السلمي والإحسان اليهم وهم منهج لم يكن متعلقًا باهل مصر دون غيرهم بل هو لجميع المعاهدين , وقد كان (ﷺ) قد اوصى جيوش المسلمين بعدم التعرض لأصحاب الصوامع ففي مسند الإمام احمد انه قال :"**أخرجوا بسم الله تقاتلون في سبيل الله من كفر بالله لا تغدروا ولا تغلوا ولا تمثلوا ولا تقتلوا**

(1) البخاري ,صحيح , ص665 الحديث 3166 .

(2) ابو داود , سنن , ص658 الحديث 3052 ؛ ابن حجر العسقلاني احمد بن علي (852هـ/1448م), هداية الرواة الى تخريج احاديث المصابيح والمشكاة ' تحقيق علي بن حسن عبد الحميد الحلبي , ط1(دار ابن القيم – الدمام – 2001) , ج100/4 .

(3) الهيثمي, مجمع الزوائد , ج66/10 .

(4) مسلم , الإمام مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري ,(ت 261هـ/874م) صحيح مسلم , تحقيق نظر بن محمد الفاريابي , ط1(دار طيبة – 2006) , ص 1184 , الحديث 2543 .

الولدان ولا أصحاب الصوامع"[1] وهكذا فقد وجد هؤلاء المعاهدين كل حماية ورعاية من المسلمين ما استقامت سريرتهم وعلانيتهم للمسلمين ولم يخونوا ويغدروا .

- زيارة النبي(ﷺ) لجاره اليهودي , وقيامه لجنازة آخر, ورهن درعه عند يهودي :

كانت علاقة النبيّ (ﷺ) مع غير المسلمين تمثل اعلى درجات التسامح والتعايش مع من اراد العيش مع المسلمين واقام عندهم , حتى وصلت تلك العلاقة الى البِرّ بمن كان يقدم له خدمة (ﷺ) ولو لآخر رمق في ان يتمكن من ادخاله في الإسلام ، وقد تجسد هذا الأمر ببِرّه في تعامله مع الخادم الذي كان غلاماً يهوديّاً، اذ أنّ الرسول (ﷺ) وهو الرحمة المهداة للعالمين ، قد عادَ ذلك الغلام حين مَرِض، ودعاه إلى الإسلام، فأسلم، وقد اورد الإمام البخاريّ قصته قائلاً: **"كانَ غُلَامٌ يَهُودِيٌّ يَخْدُمُ النبيَّ ﷺ، فَمَرِضَ، فأتَاهُ النبيُّ (ﷺ) يَعُودُهُ، فَقَعَدَ عِنْدَ رَأْسِهِ، فَقالَ له: أسْلِمْ، فَنَظَرَ إلى أبِيهِ وهو عِنْدَهُ فَقالَ له: أطِعْ أبَا القَاسِمِ (ﷺ)، فأسْلَمَ، فَخَرَجَ النبيُّ (ﷺ) وهو يقولُ: الحَمْدُ لِلَّهِ الذي أنْقَذَهُ مِنَ النَّارِ"**[2] .

وقد تعامل النبي -عليه الصلاة والسلام- مع رَجُلٍ من اليهود ، ومات ودرعُهُ مرهونة عِنده ، اذ ورد في مسند الإمام احمد أن النبي (ﷺ) **" ... ترك درعه مرهونة عند يهودي على ثلاثين صاعًا من شعير"** [3] , **وفي رواية الإمام البخاري وغيره " أن النبي(ﷺ) اشترى من يهودي طعامًا الى أجل ورهنه درعه"**[4]

وفي الحديث الصحيح **"مرت جنازة فقام لها النبي (ﷺ) وقمنا به فقلنا: يا رسول الله , انها جنازة يهودي , قال : اذا رأيتم الجنازة قوموا "**[5] , وفي رواية اخرى عند الإمام البخاري: **(إنَّ النبيَّ (ﷺ) مَرَّتْ به جِنَازَةٌ فَقَامَ، فقِيلَ له: إنَّهَا جِنَازَةُ يَهُودِيٍّ، فَقالَ: أَلَيسَتْ نَفْسًا)**[6] .

([1]) ج257/4 الحديث 2728 .

([2]) البخاري , صحيح , ص 280 الحديث 1356 ؛ ابو داود , سنن , الحديث 3095 .

([3]) ص 456 الحديث 2724 .

([4]) صحيح , ص519 الحديث 2096 و 2509 ؛ مسلم , صحيح , ص753 الحديث 1603 .

([5]) البخاري, صحيح ,ص271 الحديث 1311 ؛ مسلم , صحيح , ص 426-427 الحديث 961 .

([6]) البخاري, صحيح ,ص271 الحديث 1312 .

ان ما ورد من ذكر لليهود في هذه الأحاديث تكشف انه على الرغم مما كان من اجلاء لليهود عن المدينة بسبب تآمرهم على النبي (ﷺ) والمسلمين فأنه كان هناك من اليهود من استمر في عيشه في المدينة لأنه لم تكن له يد في التآمر فلم يتعرض لهم النبي (ﷺ), بل وكان يحسن اليهم , وهذه شواهد على النظرة النبوية الشريفة الى من أقر بالنبوة وأقر بحكمه وعاش مسالمًا للمسلمين .

ـ مجالسته (ﷺ) لغلام نصراني :

ومما ورد عن النبي (ﷺ) أنه كان كثيراً ما يجلس عند المروة الى مبيعة غلام نصراني يقال له جبير, عبدٌ لإبن الحضرمي , وقد ظنت قريش أن النبي (ﷺ) انما يتعلم من هذا الغلام , فكانوا يقولون: والله ما يعلم محمدًا كثيراً مما يأتي به إلا جبير النصراني غلام ابن الحضرمي[1] , فأنزل الله تعالى في ذلك(وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِّسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُّبِينٌ)[2], فقد رد الله سبحانه وتعالى على افتراء قريش بما قالت , على ان هذه الحادثة تكشف أن النبي(ﷺ) لم يمتنع أن يجلس الى غلام نصراني , بل كان يجلس ويتحدث معه ومع غيره ممن لم يكن مسلماً , وهذا منهج للإتصال بالآخر والتعايش معه وقد بدأ هذا المنهج منذ بداية الدعوة في مكة واستمر بعد ذلك .

ـ اكل طعام الكتابيين والزواج منهم .

لم يكن منهج التعايش مع غير المسلمين من اهل الكتاب متوقف عند مبدأ الحماية والرعاية او التعامل الإقتصادي بل شمل جوانب من الحياة الإجتماعية , اذ اباح الإسلام طعام اهل الكتاب , كما اباح الزواج من الكتابيات (الْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَاتُ وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُواْ الْكِتَابَ حِلٌّ لَّكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَّهُمْ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُواْ الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَافِحِينَ وَلاَ مُتَّخِذِي أَخْدَانٍ وَمَن يَكْفُرْ بِالإِيمَانِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ)[3] .

(1) ابن هشام , السيرة النبوية , ج1/492 .
(2) سورة النحل , الآية 103 .
(3) سورة المائدة : الآية 5

((المبحث الثاني))

الشواهد التاريخية للتعايش السلمي في العصر الراشدي:

لقد سار الخلفاء الراشدون على المنهج الذي كان عليه رسول الله(ﷺ) في التعامل مع الكتابيين , وهو منهج التعايش السلمي لمن اراد ان يكون سلمًا للمسلمين , اذ لم يألوا جهدًا في أن يحفظوا لهؤلاء حقوقهم , مقابل ما عليهم من واجبات للدولة , ولم تكن تلك الواجبات إلا مظهرًا لإعترافهم بحكم الإسلام وسلطته الحاكمة , واذا ما عجزت الدولة عن تأمين حمايتهم أو كفالة حقوقهم فإنها لا تلزمهم بما عليهم من حق لها , وسنستعرض بعضًا من الشواهد التاريخية لما كان من حرص الخلفاء الراشدين (رضي الله عنهم) على تحقيق التعايش السلمي بين المسلمين وغير المسلمين أبان مدة حكمهم .

ـ وصايا الخلفاء الراشدين (رضي الله عنهم) لجيوش المسلمين بحسن معاملة اهل الذمة:

لقد كان انطلاق حروب التحرير العربية الإسلامية يعني توجهها الى بلاد كانت يقطنها الى جانب العرب عناصر اخرى من اليهود والنصارى وغيرهم , وقد كان هدف تلك الحروب نشر الدين الإسلامي وتحرير الإنسان وحفظ كرامته , ولم يجبر المسلمون غير العرب على الدخول في الإسلام , ولهذا كانوا يعرضون على اهل البلاد التي كانوا يرومون دخولها واحدة من ثلاث " الإسلام , الجزية , او القتال " , فمن دخل في الإسلام اصبح فردًا من هذه الأمة , ومن أبى فعليه الجزية التي أقرها الإسلام (قَاتِلُواْ الَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلاَ بِالْيَوْمِ الآخِرِ وَلاَ يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلاَ يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُواْ الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُواْ الْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ)[1] , وكان دفعهم لهذه الجزية دليل على قبولهم العيش بسلام تحت حكم دولة الإسلام ,مع حفظ حقهم في الإعتقاد والعمل بشريعتهم فيما بينهم[2] ,دون التعرض لهم في إقامة شعائرهم الدينية[3] فاذا عجزت الدولة عن حمايتهم لم تأخذ منهم الجزية .

([1]) سورة التوبة : الآية 29

([2]) عيسى, سياسة الدولة الإسلامية تجاه غير المسلمين , ص2461 .

([3]) آرنولد, و. سير توماس , الدعوة الى الإسلام , ترجمة : حسن ابراهيم حسن وآخرين , ط3(دار النهضة المصرية - 1971) , ص158 .

ورد في كتب التاريخ كثير من كتب الصلح التي عقدها الفاتحون المسلمون مع اهل المدن التي صالح اهلها المسلمون على دفع الجزية والعيش في كنف الدولة الإسلامية , وهذا افصح ما يكشف عن منهج التعايش الإسلامي الذي اتخذه المسلمون اساسًا في منهج التحرير والفتح العربي الإسلامي , وكتب الصلح تلك هي بمثابة معاهدات عقدها المسلمون مع اهل تلك البلاد يجب الوفاء بها , اذ "إنَّ الوفاءَ بالمعاهدةِ واجبٌ دينيٌّ، يُسأل عنه المسلم فيما بينه وبين الله، ويكونُ الإخلالُ بها غدرًا وخيانةً"[1] . وبهذا يكون الإسلام قد سبق كل الأمم الأخرى بتشريعاتها في مجال تقنين المعاهدات الدولية, بل وتميَّزَ عنها في عدالته وسماحته مع أعدائه, والأهمُّ أنَّ ذلك السبق كان عمليًّا ولم يكن مجرَّد تنظير، ويدلُّ على ذلك ما وَقَّعَه المسلمون من معاهداتٍ مع أعدائهم بداية من عصر الرَّسولِ مرورًا بعصر الخلفاء الرَّاشدين, ثُمَّ من بعدهم من عصور إسلامية[2].

وفيما ورد من روايات ان المسلمين ردوا لأهل بعض المدن الجزية التي اخذوها منهم حينما وجد المسلمون انهم غير قادرين على تأمين الحماية لهم , اذ ورد أن القائد والصحابي الجليل ابا عبيدة عامر بن الجراح(ﷺ) رد الى اهل حمص الجزية التي أخذها منهم عندما اضطر المسلمون للانسحاب من المدينة بعد أن حشد الروم جيوشهم على المسلمين هناك اذ قال لهم " **انما رددنا عليكم اموالكم لأنه بلغنا ما جُمع لنا من الجموع , وإنكم قد اشترطتم علينا أن نمنعكم وإنا لا نقدر على ذلك , وقد رددنا عليكم ما أخذنا منكم ونحن لكم على الشرط وما كتبنا بيننا وبينكم إن نصرنا الله عليهم**" [3] , وبسبب ما كان يتلقاه اهل حمص من لطف معاملة المسلمين لهم وحسن التعايش الذي كان قائمًا فيها فقد " **دعا المسيحيون بالبركة لرؤساء المسلمين وقالوا: ردكم الله علينا ونصركم عليهم – أي الروم- فلو كانوا هم لم يردوا علينا شيئاً واخذوا كل شيء بقي لنا**"[4] , وقد اثبت خالد بن الوليد (رضي الله

(1) شلتوت , محمود: الإسلام عقيدة وشريعة , ط18(دار الشروق-القاهرة-2001) , ص457

(2) السرجاني, راغب , المعاهدات بين المسلمين وغير المسلمين, مقال على الشبكة العنكبوتية https://ar.islamway.net

(3) آرنولد ,الدعوة الى الإسلام , ص79 .

(4) آرنولد ,الدعوة الى الإسلام , ص79 .

عنه) في المعاهدة التي ابرمها مع بعض اهالي المدن المجاورة للحيرة قوله" فإن منعناكم فلنا الجزية وإلاّ فلا "[1] .

وفضلاً عما كان من وصية النبي(ﷺ) في اهل الذمة كما تقدم , فقد كان الخلفاء الراشدون يوصون قادة الجند بحسن معاملة اهل البلاد التي يفتحوها ومنهم اهل الذمة , اذ كان الخليفة ابو بكر الصديق(ﷺ) يوصي قادته بقوله:" ... **وستمرون على قوم في الصوامع رهبانًا يزعمون أنهم ترهبوا في الله فدعوهم ولا تهدموا صوامعهم**"[2] , واورد البخاري (رحمه الله) وصية امير المؤمنين عمر بن الخطاب (ﷺ) لمن يتولى الخلافة من بعده بقوله:" **واوصيه بذمة الله وذمة رسوله (ﷺ) أن يوفي لهم بعهدهم وأن يقاتل من ورائهم وأن لا يكلفوا فوق طاقتهم**" [3] .

ـ امير المؤمنين عمر بن الخطاب (ﷺ) وفتح بيت المقدس :

تشير الروايات التاريخية الى سبب ذهاب أمير المؤمنين عمر بن الخطاب (ﷺ) الى بيت المقدس , إن أهل بين المقدس طلبوا الأمان من المسلمين، واشترطوا على المسلمين أن يكون الخليفة عمر بن الخطاب(ﷺ) هو المتولي لعقد الصلح معهم. ولا شك أن المكانة الدينية لبيت المقدس هي التي اعطت دافعًا اضافياً لأمير المؤمنين عمر بن الخطاب (ﷺ) بالموافقة على الذهاب اليها .

دخل امير المؤمنين (ﷺ) مدينة بيت المقدس، فرحب به أهلها، وقد جلس في صحن كنيسة القيامة، ولمّا حضرته الصلاة أشار البطريرك عليه أن يصلي في موضعه، فأبى ذلك حتى لا يتخذ المسلمون الكنيسة مسجداً من بعده، وصلى خارج باحة الكنيسة , ثم أمضى عقد الصلح الذي أبرم مع أهل بيت المقدس سنة 15هـ ، وعرف بعهد إيلياء، أو بالعهدة العمرية فيما بعد، وفيه أمان لأهل بيت المقدس على دمائهم وأموالهم وكنائسهم, , وقد جاء في تلك العهدة :

([1]) آرنولد ,الدعوة الى الإسلام , ص79 .

([2]) الواقدي, فتوح الشام , تحقيق هاني الحاج, (المكتبة التوفيقية-د. مك-د.ت), ج20/1 .

([3]) صحيح البخاري , ص288 الحديث 1392؛ ابو يوسف , يعقوب بن ابراهيم(ت182هـ/798م),الخراج,(دار المعرفة-بيروت -1979), ص125.

" بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ , هذا ما أعطى عبدالله أمير المؤمنين أهل أيلياء من الأمان , أعطاهم أماناً لأنفسهم وكنائسهم وصلبانهم وسقيمها وبريئها وسائر ملتها, أنه لا نسكن كنائسهم , ولا تهدم , ولا ينتقص منها ولا من حيزها , ولا من صليبهم , ولا من شيء من أموالهم , ولا يكرهون على دينهم , ولا يضار أحد منهم , وأن لا يسكن بإيلياء معهم أحد من اليهود , وعلى أهل إيلياء أن يعطوا الجزية كما يعطي أهل المدائن, ..." [1] .

وتعد هذه العهدة واحدة من اهم المعاهدات التي تكشف عن احترام الإسلام والمسلمين لحقوق اهل الذمة وأنه لم يأت المسلمون لسلب هؤلاء تلك الحقوق , بل حفظ المسلمون لكل ذي حق حقه , وحققوا مبدأ التعايش السلمي بينهم وبين غيرهم ما بقيت العهود والمواثيق بينهم غير منتهكة .

ـ رد المظالم لهم .(حادثة القبطي مع ابن عمرو بن العاص – والي مصر) .

عندما كان عمرو بن العاص (ﷺ) واليًا على مصر في خلافة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب (ﷺ) , وقد اشترك ابنٌ لعمرو بن العاص مع غلام من الأقباط في سباق للخيول، فلما سبقت فرس القبطي فرس ابن الأمير ضرب ابن الأمير الغلام القبطي ، ولم يكن باستطاعة القبطي الرد عليه خشية منه ومن سلطان ابيه , ولم يدع الغلام القبطي المضروب الحادثة تمر دون أن يأخذ لنفسه الحق والقصاص , فعمد الى السفر إلى المدينة المنورة، فلما أتى أمير المؤمنين عمر(ﷺ) ، قص عليه ما جرى ، فكتب أمير المؤمنين إلى عمرو بن العاص(ﷺ) أن يحضر إلى المدينة المنورة صحبة ابنه، فلما حضرا عند أمير المؤمنين عمر(ﷺ)، ناول الغلام القبطي سوطًا وأمره أن يقتص لنفسه من ابن عمرو بن العاص، فضربه حتى رأى أنه قد استوفى حقه وشفا ما في نفسه.

ثم قال له أمير المؤمنين: لو ضربت عمرو بن العاص ما منعتك؛ لأن الغلام إنما ضربك لسلطان أبيه، ثم التفت إلى عمرو بن العاص قائلاً: متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحرارا[2].

([1]) الطبري , تاريخ, ج609/3 ؛ آرنولد, الدعوة الى الإسلام , ص75 .

([2]) ابن الجوزي, جمال الدين ابو الفرج (ت 597هـ/1201م) , تاريخ عمر بن الخطاب , (مطبعة التوفيق الأدبية- مصر- د.ت) , ص99-100 .

ومما يُؤكّد عظمة التسامح عند الصحابة الكرام؛ أنه كانت امرأةٌ مسيحيّةٌ من مصر تشتكي على عمرو بن العاص للخليفة عُمر بن الخطاب، لأنه أدخل جُزءاً من بناء المسجد في بيتها، فعرض عليها عمر شراء بيتها بضعف الثمن، لكنّها رفضت، فأمر عمر بهدم البناء الجديد للمسجد، وإعادة بيتها كاملاً إليها [1].

ـ مراعاة الفقراء والمحتاجين من اهل الذمة .

لقد أولى الخلفاء الراشدون(رضي الله عنهم) اهل الذمة عناية بالغة ممن كانوا بحاجة اليها وقد كان لأمير المؤمنين عمر بن الخطاب(رضي الله عنهم) مواقف عدة توضح التزام الدولة تجاه رعاياها ليس من المسلمين فحسب بل ومن اهل الذمة الذين عاشوا تحت حكمها , فيذكر " أن عمر بن الخطاب (ﷺ) مرَّ بباب قوم وعليه سائل يسأل , شيخ كبير ضرير البصر, فضرب عضده من خلفه وقال: من أي اهل الكتاب انت ؟قال: يهودي , قال : فما ألجأك الى ما أرى؟ قال : أسأل الجزية والحاجة والسن , قال : فأخذ عمر بيده وذهب به الى منزله فرضخ له بشيء من المنزل ثم أرسل الى خازن بيت المال فقال: أنظر هذا وضرباءه , فوالله ما أنصفناه أن أكلنا شبيبته ثم نخذله عند الهرم " إنما الصدقات للفقراء والمساكين " والفقراء هم المسلمون , وهذا المسكين من أهل الكتاب , ووضع عنه الجزية وعن ضربائه"[2]

ويذكر أن امير المؤمنين عمر بن الخطاب (ﷺ) حين خرج الى بيت المقدس مر على قوم مجذومين من النصارى , فأمر أن يعطوا الصدقات وأن يجري القوت عليهم [3] .

ـ التقاضي مع اهل الذمة :

ادعى يوماً يهودي على سيدنا علي بن أبي طالب(ﷺ) بحضرة امير المؤمنين عمر بن الخطاب(ﷺ) فقال امير المؤمنين : قم يا أبا الحسن ساو خصمك، فظهر على وجهه أثر الغيظ ثم قام وجلس

(1) السباعي, مصطفى , من روائع حضارتنا, ط1(دار الوراق – بيروت – 1999) , ص135 .
(2) ابو يوسف , الخراج , ص126.
(3) آرنولد , الدعوة الى الإسلام , ص75 .

بجانب اليهودي، وبعد انتهاء المحاكمة قال امير المؤمنين لعلي (ﷺ): لعلك اغتظت من قولي لك: «قم يا أبا الحسن ساو خصمك» قال: لا، وإنما اغتظت لأنك كنيتنى أمام خصمي، فكان ينبغي أن تقول: قم يا على ساو خصمك، يعنى لم يرد سيدنا علي(ﷺ) التعظيم بجانب خصمه"[1].

وكان لأمير المؤمنين علي بن ابي طالب (ﷺ) موقف آخر عندما وجد درعه عند رجل نصراني وجاء به الى شريح القاضي ليقاضيه فادعى النصراني أن الدرع درعه فطلب القاضي من امير المؤمنين عليًا (ﷺ) بينة على النصراني فقال امير المؤمنين:" أصاب شريح ما لي بينة " فقضى بها شريح للنصراني , فلما رأى النصراني أن امير المؤمنين اقر بما اقضى به شريح اعلن اسلامه , وأقر بأن الدرع درع امير المؤمنين علي (ﷺ) , وعندها وهبه له امير المؤمنين لإسلامه[2]

(الخاتمة)

من خلال ما تقدم من استعراض بعض الشواهد التاريخية للتعايش السلمي في عصر صدر الإسلام , فيمكن اجمال ابرز ما انتهى اليه البحث بما يلي :

- ان التعايش السلمي منهج لم يكن وليد عالم معاصر بل هو وليد تاريخ مجيد يمتد الى عصر صدر الإسلام , وأن اول من ابتدأ بتطبيقه في الواقع المجتمعي هو رسول الله (ﷺ) ومن بعده الخلفاء الراشدين (رضي الله عنهم) .
- أن الإسلام لم يمنع التعايش مع غير المسلمين من خلال قبولهم في المجتمع الإسلامي أو التواصل والتعامل معهم ما داموا مسالمين , ومن التزم بحكم المسلمين وحفظ العهود والمواثيق فقد ضمن له الإسلام العيش الكريم واحتفاظه بحقه في ممارسة شعائره وطقوسه .
- لقد كانت وثيقة المدينة وما تضمنته من تنظيم للعلاقة بين المسلمين واليهود اعظم دستور لحقوق الإنسان ولقيم التعايش السلمي تم اعلانه وتطبيقه في ارض الواقع , على العكس مما كان فيما بعد

([1]) عبد المنعم , عبد الفتاح, كيف أنصف عمر بن الخطاب يهودياً على ابن عم الرسول(ﷺ) , مقال على الشبكة العنكبوتية https://www.youm7.com

([2]) البيهقي , ابو بكر أحمد بن الحسين(ت458هـ/1066م) , السنن الكبرى , تحقيق محمد عبد القادر عطا, ط3(دار الكتب العلمية- بيروت- لبنان- 2003) , ج10/230-231 .

وفي عالمنا المعاصر مما يصدر من عهود ومواثيق لم تكن إلاّ حبراً على ورق , وأن من يصدرونها هم اكثر الناس نقضاً وتزييفًا لها .

- أن ما كان من تعايش لليهود في المدينة مع المسلمين كفل لهم حقوقهم وجعلهم جزءً من مجتمع المدينة طالما التزموا بعهدهم مع المسلمين , فلما نقضوا العهد استحقوا أن ينالوا ما نالوا من القتل أو الإخراج منها , ولا شك أن ديدنهم بالغدر والخديعة كان ولا يزال , وان استلابهم لأرض فلسطين اليوم لا يدخل في اطار الدعوة للتعايش السلمي معهم , لأن من اغتصب الأرض وهتك الحرمات لا يتحقق التعايش السلمي معه إلا بعد أن يرجع ويعيد لكل ذي حق حقه .
- لقد اصبح منهج التعايش السلمي سياسة عامة في الدولة العربية الإسلامية , وظهر ذلك جلياً في عصر الخلفاء الراشدين , ثم من جاء من بعدهم , على أن ما ظهر من حالات استثنائية لهذه السياسة لا يمكن ان تعد هي الصورة الحقيقية لمنهج التعايش التي دعا اليها الإسلام .
- لم تكن دعوة التعايش السلمي منحصرة في مجتمع المدينة وفي عصر صدر الإسلام , بل هي دعوة كانت قائمة لجميع البلاد واينما تواجد فيها المسلمون , ولهذا كانت الوصايا متعاقبة من النبي(ﷺ) , ومن ثم الخلفاء الراشدين (رضي الله عنهم) الى جيوش المسلمين التي قادت عمليات الفتح بحسن معاملة أهل الذمة في تلك البلاد .
- كانت علاقة النبيّ (ﷺ) والخلفاء الراشدين وعموم المسلمين مع غير المسلمين تمثل اعلى درجات التسامح والتعايش مع من اراد العيش مع المسلمين بسلام واقام عندهم .
- لم يكن منهج التعايش مع غير المسلمين من اهل الكتاب متوقف عند مبدأ الحماية والرعاية فحسب , بل شمل جوانب من الحياة الاجتماعية والاقتصادية , وهذا يعني ان لهم مكانتهم في التركيبة الاجتماعية للدولة .
- ان المنهج الإسلامي الذي جعل من القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة الأساس الذي يقيم عليه المسلمون علاقاتهم مع غير المسلمين لن يكون هناك منهجًا افضل منه , واذا ما اردنا ان يصلح حال الأمة فلا اصلاح لها إلا باتخاذها ذلك المنهج , لأن فيه أمانها ورفعتها .

هذا وفي الختام ارجوا أن اكون قد وفقت في تقديم هذا البحث المتواضع لجانب مهم من جوانب تاريخنا الإسلامي المجيد , وما كان من توفيق فمن الله وحده، وما كان من خطأ أو سهو أو زلل أو نسيان فمني ومن الشيطان والله ورسوله منه براء، وأعوذ بالله أن أذكركم به وأنساه.

وصلى الله وسلم على عبده ورسوله محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

المصادروالمراجع

اولاً : القرآن الكريم

ثانيًا : المصادرالأولية

- **الإمام البخاري: محمد بن اسماعيل بن ابراهيم (ت256هـ/870م)**

1- صحيح البخاري ,تح طه عبدالرؤوف سعد, د.ط (مكتبة الإيمان –المنصورة-2003م) .

- **البيهقي : ابو بكر أحمد بن الحسين(ت458هـ/1066م)**

2- السنن الكبرى , تحقيق محمد عبد القادر عطا, ط3(دار الكتب العلمية- بيروت- لبنان-2003).

- **ابن الجوزي: جمال الدين ابو الفرج (ت 597 هـ / 1201 م)**

3- تاريخ عمر بن الخطاب , (مطبعة التوفيق الأدبية- مصر- د.ت) ,

- **ابن حجر العسقلاني : احمد بن علي (852هـ/1448م)**

4- هداية الرواة الى تخريج احاديث المصابيح والمشكاة ' تحقيق علي بن حسن عبد الحميد الحلبي , ط1(دار ابن القيم – الدمام – 2001).

- **ابو داود : سليمان بن الأشعث الأزدي السجستاني (ت275هـ/888 م)**

5- سنن ابي داود , تحقيق شعيب الأرنؤوط و محمد كامل قره بللي , (دار الرسالة العالمية-2009).

- **ابن سعد : محمد بن سعد بن منيع(ت230هـ/ 845م) .**

6- كتاب الطبقات الكبير, تح: علي محمد عمر, ط1(مكتبة الخانجي-القاهرة-2001) .

- **الطبري : محمد بن جرير(ت 310هـ/923م)**

8- تاريخ الرسل والملوك , تح محمد ابو الفضل ابراهيم ط2(دار المعارف –مصر-1969) .

- **القرطبي : أبوعبدالله محمد بن أحمد بن ابي بكر(ت671هـ/1273م)**

9- الجامع لأحكام القرآن: تحقيق عبدالله عبد المحسن التركي ومحمد رضوان عرقسوسي ، ط1 (مؤسسة الرسالة- بيروت –لبنان - 2006م).

- **ابن قيم الجوزية : محمد بن ابي بكر بن أيوب(ت 751هـ/1350م)**

10- زاد المعاد في هدي خير العباد,, (مؤسسة الرسالة –بيروت-لبنان -1994)

- **ابن كثير: عماد الدين ابي الفداء اسماعيل بن عمر(ت774هـ/1373م)**

11- البداية والنهاية 'تحقيق عبدالله عبدالمحسن التركي, ط1(دار هجر –مصر-1997)

- **الإمام مسلم: مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري ,(ت 261هـ/874م)**

12- صحيح مسلم , تحقيق نظر بن محمد الفاريابي , ط1(دار طيبة – 2006) .

- **ابن هشام :ابو محمد عبد الملك(213هـ/828م).**

13- السيرة النبوية, تحقيق عمر عبدالسلام تدمري,ط3(دار الكتاب العربي- بيروت -1990)

- **الهيثمي: ابو الحسن علي بن ابي بكر بن سليمان(ت 807هـ/1405م)**

14- مجمع الزوائد ومنبع الفوائد,ط1(دار المنهاج – جدة -2015).

- **الو اقدي : ابو عبدالله محمد بن عمر بن و اقد (207هـ/822م) .**

15- فتوح الشام , تحقيق هاني الحاج, (المكتبة التوفيقية-د. مك-د.ت).

16- كتاب المغازي, ط3(د.مطبعة – د. مكان- 1984)

- **ياقوت الحموي: شهاب الدين ابي عبدالله ياقوت بن عبدالله (ت 626هـ/1225م)**

17- معجم البلدان,(دار صادر- بيروت -1977).

- **ابو يوسف :, يعقوب بن ابراهيم (182هـ/798م)**

18- الخراج ,(دار المعرفة- بيروت -1979) .

المراجع الحديثة :

- **آرنولد, و. سير توماس:**

19- الدعوة الى الإسلام , ترجمة : حسن ابراهيم حسن وآخرين , ط3(دار النهضة المصرية -1971) .

بركات, احمد :

20- محمد واليهود نظرة جديدة, ترجمة محمود علي مراد,(مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب - 1996).

السباعي, مصطفى :

21- من روائع حضارتنا, ط1(دار الوراق – بيروت – 1999)

شلتوت , محمود:

23- الإسلام عقيدة وشريعة , ط18(دار الشروق-القاهرة-2001)

ابو شهبة, محمد بن محمد بن سويلم:

- السيرة النوية في ضوء القرآن والسنة, , ط8(دار القلم –دمشق-1427هـ).

العمري, اكرم ضياء:

24- السيرة النبوية الصحيحة, محاولة لتطبيق قواعد المحدثين في نقد روايات السيرة النبوية ,(مكتبة العلوم والحكم –المدينة المنورة-1992).

عيسى, عوض سعد محمود :

25- سياسة الدولة الإسلامية تجاه غير المسلمين خلال عصري النبوة والخلافة الراشدة , مجلة كلية اللغة العربية – القاهرة – العدد 37

المباركفوري ,صفي الدين :

26- الرحيق المختوم ط21(دار الوفاء- د. مكان – 2010).

الرسائل والأطاريح :

الراوي ,مها أسعد عبد الحميد طه:

27- النجاشي واثره في التاريخ , اطروحة دكتوراه غير منشورة مقدمة الى معهد التاريخ العربي والتراث العلمي للدراسات العليا, 2007 .

مقالات على الشبكة العنكبوتية :

- السرجاني: راغب

28- المعاهدات بين المسلمين وغير المسلمين, مقال على الشبكة العنكبوتية https://ar.islamway.net

- عبد المنعم : عبد الفتاح

29- كيف أنصف عمر بن الخطاب يهودياً على ابن عم الرسول(ﷺ) , مقال على الشبكة العنكبوتية .com7https://www.youm